في تصفيات
كأس اسيا :

« غدا » لقاؤنا امام « عمان »
« والأحد » .. اختتام التصفيات

اقرأ

IQRAA

أسبوعية سياسية اجتماعية

POLITICAL & SOCIAL WEEKLY MAGAZINE

غير مخصص للبيع

العدد ٤٩٣ - ١/٢/١٤٠٥هـ - ٢٥/١٠/١٩٨٤م
No "493" - 1/2/1405 — 25/10/1984

OF

غير مخصص للبيع
No "493" - 1/2/1405 — 25/10/19
OF

هو استعراق .. ولكن ..

الاسلام جاء ليخلص الانسانية من تعدد الانتماءات ، ويرجع بها إلى انتماء واحد هو : بنوتنا جميعا لآدم عليه السلام .

اطلعت على المقالة القيمة التى كتبها استاذ الجيل / محمد حسين زيدان وعلق فيها على مقالة الاستاذ الكبير المؤرخ حسين مؤنس التى كتبها فى مجلة أكتوبر ثم قرأت التعليق الملطف الذى كتبه المهندس الأستاذ محمد سعيد فارسى ، وحاول فيه ان يعطر الجوبين الكاتبين الكبيرين بعطر الود والصداقة .

وأول ما اسجله هو اننا ننظر الى الاستاذين الجليلين محمد حسين زيدان والدكتور / حسين مؤنس بعيون الحب والاحترام والتقدير ، فكلاهما قد ملأ فراغا فى دنيا الأدب ، واحتل مكانة مرموقة فيها ، ولكل منهما اثره فى تصحيح المفاهيم وتنقية الاجواء الثقافية ، وله فى عالم الناطقين بالضاد وخصوصا فى هذه البلاد جمهور كبير .

وما كتبه الدكتور حسين مؤنس ـ كان استعراضا تاريخيا استند فيه الى المراجع الموثوق بها وفى مقدمتها الجبرتى وعبد الرحمن الرافعى ، وقد تناول فيها تصرفات المماليك ـ اولئك العبيد الارقاء الذين اشتراهم الحكام ليكوّنوا منهم فرقا عسكرية خاصة بأيام السلم ، تضاف الى الجيوش ايام الحرب ، فكانت النتيجة ان صاروا هم الادارة العسكرية كلها فى مصر والشام ، واثبتوا جدارة وشجاعة فى المعارك جعلتهم فى اكبر المناصب ، ومن هذه المناصب قفزوا الى الحكم ـ فكان منهم الحاكم الذى حكم بما يرضى الله ورسوله واحسن إلى الشعب ، ورفع راية الاسلام عاليا ـ وكان منهم الحاكم الفاسد الذى حكم باهوائه ونزعاته واستبد بالشعب ، وأساء إلى الاسلام . ويجب الا نغفل هنا انهم وان كانوا مملوكين الا ان وسيلة تملكهم كان اغلبها اغتصابا لاصول سامية فى بيئاتها عريقة فى مجتمعاتها ، فهم حين يتطاولون الى سيطرة ملك فانما يلبّون ما يصرخ فى دمائهم من سيادة اصول .

ولا جدال ان ابرز هؤلاء المماليك هو البطل صلاح الدين الايوبى الذى صهرته ارض مصر ، واشبعه نيلها ، فكان وزيرا بعد عمه « شيراكوه » ولما اصبحت له السلطة بعد نور الدين محمود ، بدأ حكمه بجمع الشمل وتوحيد الصفوف واستطاع ان يكوّن جبهة مسلمة قوية متحدة تنبسط من برقة غربا الى الفرات شرقا ، وتمتد من الموصل وحلب شمالا الى النوبة واليمن جنوبا ، واستطاع ان يقاتل الصليبيين وان ينزل بهم الهزائم الفادحة فى تل حطين وفى عكا ، ثم فتح بيت المقدس عام ١١٨٧ م ـ ٥٨٣ هـ ، ولما حاول ريتشارد قلب الأسد استرجاع بيت المقدس تصدى له وارغمه على الخضوع وطلب الصلح .

وقد ظل اسم صلاح الدين الايوبى يتلألأ على صفحات التاريخ إلى يومنا هذا ، كانسان طهره الاسلام وارتفع به من مملوك الى سلطان صالح وحاكم عادل ومجاهد مخلص لم يدخر جهدا ولم يبخل بتضحية ليرفع كلمة الاسلام ويحقق له اعظم الانتصارات .. ولا يستطيع انسان مصرى او غير مصرى ان ينكر مجهودات صلاح الدين المخلصة للاسلام ، الخالصة لوجه الله تعالى ، ولا يجرؤ على الاساءة له ، فالتاريخ حافل بامجاده شاهد على مواقفه الرائعة فى الحرب والسلم ، فى السياسة والادارة ، فى معاملة اعوانه واعدائه ، بانسانية بهرت الجميع وجعلت الاعداء يشهدون له بالسمو .

وغير صلاح الدين كان هناك مماليك ابطال قاوموا التتار وسجلوا العديد من الانتصارات فى ميادين الحرب والقتال ، وكان بها مماليك ابطال رفعوا رأية العلم وخدموا باخلاص فى مختلف مجالاته وعلى رأسهم . الأمير عبد الرحمن كتخدا ـ الذى رمم عمارة الأزهر ، وأضاف الى مبانيه ، وأوقف ثروته الواسعة على طلابه وشيوخه ، ولا تزال مبانى الأزهر الشريف تحمل اسمه حتى اليوم مع التكريم والامتنان .

ولكن هذا لا يمنع من وجود مماليك كانوا أسوأ مثل ، فقد اكلوا خير مصر واستفادوا بسواعد ابنائها فى اقامة حكمهم ، ثم اساءوا الى مصر والى ابنائها اكبر الاساءات ، ولن نبتعد كثيرا : فأبناء صلاح الدين وأخوه الملك العادل لم يكونوا مثله فى الاخلاق ولا فى الشجاعة او العدل او الاخلاص او الحكمة وسداد الرأى ـ ولم يرتفعوا عن مستواهم المملوكى ، ولهذا دب النزاع بينهم من بعده ، بل ان المماليك عندما احسوا بزوال الخطر الصليبى بعد فشل الحملة الصليبية السابعة ، حولوا بأسهم الى الشعب الذى عانى منهم الامرين ولم ينقذه من ظلمهم الا الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، فقد أفتى هذا العالم الجليل ، ان المماليك عبيد ارقاء لم يحرروا ولهذا فانهم لا يصلحون لمناصب الحكم والقيادة ، فقاوموه وحاربوه بمختلف الوسائل ، ولكن الله نصره عليهم وايده باتحاد كافة طبقات الشعب ووقوفهم

د . محمد عبده يمانى

خلفه ـ فاضطر المماليك للخضوع لأمره فباعهم فى الأسواق ووضع اثمانهم فى بيت المال ، وبذلك اصبحوا احرارا فعادوا الى ما كانوا فيه من مناصب ووظائف ومارسوا حياتهم العادية ، ولكن بغير ظلم ولا استبداد فقد أدبتهم هذه الحركة المباركة وحدّت من طغيانهم وأرغمتهم على احترام الشعب المصرى فعاشوا معه اخوانا متعاونين ، ومهما كان الأمر فان سيئات هؤلاء المماليك قد انماعت فى خضم الحسنات التى قدمها أولئك المماليك الذين اعتبروا مصر أمهم ولم يدخروا وسعا فى سبيل حمايتها ونصرها فكانوا خير مواطنين .. مستعربين .

وأحسب ان هذه مقدمة كان لابد منها قبل ان نتطرق إلى ما كتبه استاذنا الجليل محمد حسين زيدان والذى تحمس للمماليك ثم تطرق من موضوعهم إلى عروبة مصر ، وتعمق فى الأمر ، وشدنا إلى متابعة آرائه الجميلة واشتقاقاته اللغوية الرائعة ، وانا أوافقه فى نظرته دون شك من ناحية ومن ناحية أخرى فما أظن ان عروبة مصر فى حاجة لاثبات أو تأكيد ، فمصر كانت ولا تزال وستظل عربية ، والتاريخ يقول ان ام العرب ـ هاجر ـ كانت اميرة مصرية من بلدة منف ، وقد تزوجها سيدنا ابراهيم عليه السلام فولدت له اسماعيل عليه السلام ، ويذكر التاريخ أن هجرات كثيرة قد تمت بين مصر والجزيرة العربية وبالعكس ، وقد استمرت هذه الهجرات حتى فتح عمرو بن العاص مصر وانتشر الاسلام فيها وازدهر واصبح الدين الرسمى لها ، وليس بعد هذا دليل على ان عروبة مصر تضرب بجذورها القوية فى اعماق التاريخ ، ولا جدال فى ان مصر هى الوعاء الذى افرخت فيه العروبة حتى فى غير مصر .

وليس هناك شك فى ان مصر صهرت الكثيرين ممن لجأوا اليها واتخذوها موطنا لهم ، فهذا واقع يقرره علماء الانثروبولجى ـ علم الاجناس ـ وقد اكد هؤلاء ان هجرات عديدة قد تمت إلى مصر من النوبة والسودان وفلسطين والشام وفارس والاناضول وشعوب سواحل البحر الأبيض المتوسط بما فيهم ليبيا بل ومن الجرمان القدماء ، وقد تعجب علماء الاثار فى مصر عندما وجدوا عينى الاميرة الشقراء مرسوعنخ زرقاء ، وبالدراسة اتضح أن اصلها يرجع إلى قبائل الجرمان الذين هاجروا من اسبانيا (٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد) ومنها دخلوا واستقروا فيها .

والمعروف ان العرب القدماء كانوا يرفضون الاختلاط لئلا تمتزج الاجناس ، وكانوا يفخرون بنقاوة أنسابهم حتى انهم أعتبروا الام وعاء لا اكثر وقال شاعرهم :

وانما امهات القوم اوعية
مستحدثات وللأحساب آباء

وكما قال شاعرهم ايضا :

بنونا بنو ابنائنا وبناتنا
بنوهن ابناء الرجال الاباعد

فجاء الاسلام يمزج الحسب بالنسب ، وفضائل الامومة مع فضائل الرجولة ـ فاصبح هو النسب ولم يجعل لابيض على اسود فضلا ، ولو اننا رجعنا إلى فجر الاسلام لرأينا الالوان البشرية تجتمع تحت لوائه ، فهذا بلال بن رباح الحبشى الاسود وهذا صهيب بن سنان الرومى الاحمر ، وهذا خباب بن الارت الآسيوى الاصفر وهذا خالد بن الوليد السيد العربى الابيض ، كلهم واحد فى الاسلام ، ولا فضل لاحدهم على الآخر الا بالتقوى والعمل الصالح . ولسمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن سلمان الفارسى (سلمان منا آل البيت) ولشهدنا مصعب بن عمير يقول للصحابى الذى وجده ممسكا باخيه فى الاسر فى المعركة يوم بدر (اوثق عليه فان له اما موسرة تفديه) فيرد عليه اخوه فى ذهول قائلا : (يا مصعب ، أو هذا كل ما توصى به على اخيك ؟) فيقول مصعب بايمان قوى : (لست أخى وهذا أخى فى الاسلام) .

كانت قومية قوامها النسب ، وعصبها العرق والاصل ثم اصبحت اسلاما انصهرت فى بوتقته المباركة القوميات وذابت العروق وتكاملت العناصر فى اخاء محا الفوارق وارتفع فوق كل شىء . وجاءت الوطنية لتكون استعراقا ، وتكون من الايمان (حب الوطن من الايمان) ـ إذن فالقومية نسب واصل والوطنية ارتباط وانتماء ، وهى استعراق .. ولكن الاسلام يرتفع بالانسان فوق هذا كله .. وجاء ليخلص الانسانية من تعدد الانتماءات ويرجع بها الى انتماء واحد هو (بنوتنا جميعا لآدم عليه السلام)ـ اذن فهو تصويب لأخطاء البشر فى عصبية الانتماء المنوع والتبعيات المتعددة ـ وبهذا تتساند الانتماءات كلها بمقوماتها لتصنع انتماء واحدا تحيا به كلها وتحقق آمالها فى الحياة الكريمة ..